

المسميات: تحريمها في الإسلام

د. محمد أحمد النابلسي*

إذا كان الإسلام يدعو إلى المحافظة على العقل أمام المؤثرات الفكرية والنفسية فهو ولا شك يدعو إلى المحافظة عليه من المؤثرات المادية المتمثلة في الاعتداء على الجسم بما يذهب منافعها وفي ذروتها العقل، وكما أنه لا يحل للمخير أن يعتدي على نفس الإنسان أو على عضو منها فكذلك لا يحل للإنسان أن يعتدي على نفسه أو على عضو منها كما يحرم عليه أن يعتدي على عقله بأي صورة من صور الاعتداء فقد ميز الله الإنسان بالعقل على سائر المخلوقات وهذا يسلمنا بدوره إلى تبين التخليط الشرعي في تعاطي المسكرات أو المخدرات التي من شأنها أن تذهب العقل أو تعطله عن حسن أدائه لوظيفته بالخمول أو الركود والفتور وما إلى ذلك.

وأحاطه بالعناية والرعاية فإنه يجعل بين الإنسان وبين السكر باباً موصداً لا يجزؤ على كسره إلا من ضعف إيمانه وزوال خوفه من الله.

ففي الحديث الشريف لا يزنني الزاني حين يزنني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن (رواه البخاري ومسلم في صحيحهما).

والضعف أمام الحاح الغرائز لدرجة أنها قد تكون هي المنشطة والموجهة له فيساعدها على تحريك الجسم لإحداث ردود أفعالها حيال مقدراتها ويصبح العقل أداة للغرائز لا الموجه لها فيفضل طريقه ويسلك بصاحبه سلوكاً شاذاً لا يرضاه الله ولا يرضاه المجتمع وهنا مجال الحرب بين الشيطان وبين ضمير الإنسان وبقدر صفاء هذا الضمير ونقاؤه واستجابته لأوامر ربه بقدر ما تكون له الغلبة بإذن الله وبارادته.

ليس العقل في نظر علماء الإسلام عضواً بعينه في جسم الإنسان صحيح الفكر سليم التمييز، وفي ذلك يقول العلامة ابن تيمية (والعلم المشروط في التكليف لا بد أن يكون معلوماً أي إدراكات) يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه له من الكلام ليس يعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل (ابن تيمية، رسالة في العقل والروح، ص ١٥).

ومن ثم فإن حالة السكر التي تقع للإنسان بتعاطيه أي شيء يؤدي إليها هو نوع من الاعتداء على العقل حيث أن تلك الحالة إخراج للإنسان وقتياً عن أن يكون في حالة من التعقل وقد تضافرت على هذا المعنى أقوال العلماء المسلمين. وإذا كان الإسلام قد كرم العقل





وترك الصلاة وواقع أمه وخالته وعمته (الدار قطنى، ٢٤٧/٤) وإن من أظهر أضرارها ما نص الله تعالى عليه بقوله «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» (سورة المائدة، الآية ٩١).

وإلى جانب ذلك فهناك الأضرار التي تلحق بمن يتعاطى المخدرات في جسمه ووظائف أعضائه وممن ذكر شيئاً من ذلك في العصور السابقة محمد بن زكريا الرازي، وأبو بكر القسطلاني وغيرهما وكذا نقل الأقفهسي إن في الحشيشة مائة وعشرون مضرّة دينية ودنيوية ومثل ذلك فعل ابن حجر الهيثمي في فتاويه وكذا نقل المقرئ في الخطط عن علاء الدين بن نفيس أنه قال عن الحشيشة أنها تورث السفالة والرذيلة، وكذلك جربنا في طول عمرنا من عاناها فإن ينحط في سائر أخلاقه إلى ما يكاد يبقى له من الإنسانية شيء البتة، وقد تكلم قبل هؤلاء على بعض وجوه مضر الحشيشة حنين بن اسحاق وابن جزلة ويحيى بن ماسويه (اسماعيل الفتار، ١٩٨٨م، ص ٤٣ - ٤٤) وإن هذا التطابق بين ما قيل في القديم وفي الحديث الخمر

والمرض على أنها تكييفات ناجحة أو غير ناجحة للكائن العضوي مع بيئته. كما شهد العقد السادس من هذا القرن تطور ما يسمى بالطب النفسي الاجتماعي المجتمعي وكان ذلك نتاجاً لحركة عملية تهدف إلى إتاحة رعاية صحية نفسية أفضل للقطاعات المحرومة من المجتمع أيضاً. هناك اتجاه حديث في الطب لدراسة الأمراض وعلاجها المبكر، وذلك من أجل تجنب أمراض أكثر خطورة ويتضمن هذا الاتجاه تعريفاً واسعاً للمرض ليشمل مظاهره الدقيقة والكامنة والخفية فهو يدرس الميل إلى المرض أكثر من المرض ذاته.

ولعل ذلك هو ما دفع الأطباء مؤخراً نظراً لانتشار الأوبئة وغيرها إلى التركيز على الطب الوقائي والصحة العامة وحدث اهتمام كبير بالجانب السوي في الرجال، واتسع مفهوم المرض ليشمل أعراضاً فرعية كثيرة، مع الاهتمام بالعوامل التي تسبق المرض وتهيئ الفرد له وعلاج العلامات المبكرة للمرض قبل أن يستفحل مع مساعدة الأفراد الذين لا يعانون من أعراض معينة.

لقد حصل العلم الضروري بجرمة الخمر لأجيال المسلمين المتعاقبة منذ عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا بناء على ما جاء في القرآن والسنة مما يشهد على تحريم الله عز وجل للخمر والمخدرات وغيرها من المسكرات والمسمات.

وإذا كان النص على التحريم واضحاً قاطعاً فليس هناك من داع إلى بيان وجوه الأضرار المترتبة على تعاطيها وإدمانها، اللهم إلا البيان الذي يدرك به الحكمة الإلهية ومثل ذلك يكفي فيه الإجمال.

فعن عبدالله بن العاصي قال سأل رسول الله . عن الخمر، فقال: هي أكبر الكبائر وأم الفواحش، من شرب الخمر

فما أضعف هذا الإنسان الذي يعجز عن كبح جماح أهواء نفسه الأمارة بالسوء، وما أكفره إذ يعرض عن ذكر ربه فلا يشكر نعمه، وما اتعسه إذ يظل كالريشة في مهب ريح الخير والشر، إلا من أتى ربه بقلب سليم.

إن للدين الإسلامي جذوراً عميقة في إحداث تغييرات كبيرة في اللاوعي الجماعي (اللاشعور الجمعي) للمجتمعات التي تعتنقه، ومن أهم هذه التغييرات ما تعلق منها بالسلوك الحياتي اليومي للمسلم، هذا السلوك الذي يمتاز بكونه أقدم أصول الوقاية النفسية فمتبع هذا السلوك يكون بمنأى عن الإصابة بالعديد من الاضطرابات النفسية والأمراض العقلية والعصبية وبالتالي يستغني عن حاجته لعلاجها.

إن تحريم الإسلام للزنى وحثه على التعجيل بالزواج من أهم العوامل التي تبرر انحسار عدد من المظاهر النفسية الاجتماعية المرضية في المجتمعات الإسلامية، ومن هذه المظاهر مثلاً: الانتحار والإيجاب غير الشرعي واختلاط الأنساب والأمراض الجنسية وبخاصة الخطرة منها كالإيدز الذي يؤدي إلى الموت، والسفلس (الزهرى) الذي يؤدي إلى الشلل العام في الجهاز العصبي وغيرها من المناظر التي تشير إحصاءات منظمة الصحة العالمية إلى انخفاضها بنسب ملحوظة في المجتمعات الإسلامية.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اتجاهاً في الطب النفسي بدأ من الحرب العالمية الثانية هو الطب النفسجسمي وقد حاول العاملون في هذا الميدان التعويل على المتغيرات النفسية التي تتفاعل أو تتعامل مع الأجهزة الجسمية في إحداث المظاهر الإكلينيكية (العيادية) للمرض، كما هددوا إلى الربط بين الطب الجسمي والعوامل النفسية وعالجوا موضوعات الصحة



يزداد التلوث وتزداد التحذيرات منه يوماً بعد يوم، والمدن الكبرى معرضة لهذا التلوث بنسب أكبر، ترتفع مع ارتفاع أعداد السيارات وكل أنواع المركبات، ومع مرور الزمن نلاحظ أن المساحات الخضراء تتقلص، وتتحصر هذه المدن داخل كرات ساخنة وجافة ومالحة.. تمنع عنها الرياح التي يمكن لها أن تحمل محتويات هذه الكرات نحو الفضاء، وفي هذه الحالة تبدأ المدن بالاختناق. لهذه الأسباب بدأت بعض المدن الكبرى مثل باريس مثلاً باللجوء إلى استخدام أنواع مختلفة من الوقود لسياراتها يعوضها عن الديزل الذي يكثر استخدامه في العاصمة الفرنسية، وبالتالي تبنت المدينة عن مخاطر التلوث المدني، وكان البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ قد صوت على قانون ينص على تعزيز الرغبة لإيجاد معايير ضابطة تمنع عملياً انبعاث المواد الملوثة مهما كان نوعها مع حلول العام ٢٠٠٥ م.

ويرى البعض أن المدينة عبارة عن جزيرة تنعزل شيئاً فشيئاً عن المناخ الملائم المحيط لتخلق لنفسها مناخها أو ما يسميه العلماء بالطقس الميكروي أو المناخ المصغر.. إشارة منهم إلى الشكل الكروي الذي يتخذه هذا الطقس حيث تلتف المدينة بكرة كبيرة من الحرارة والجفاف والتلوث بكافة أنواعه، ويصل تأثير هذه الكرة إلى ارتفاع ١٠٠٠ متر تقريباً فوق سطح الأرض، كما أن نفاذيتها للرياح والأمطار وكتل الهواء المحيطة تقل

إزالة الانسجام وبعدها على إثبات منعكس شرطي جديد بسبب نفور المدمن من مادة إدمانه.

ومن الطبيعي أنه قيل العلاج لا يمكنه أن يجري إلا في المستشفيات والمصحات كما أنه يحتاج إلى رقابة طبية صارمة للمتغيرات الحيوية وأيضاً لضرورة علاج الإصابات والاضطرابات العضوية الناجمة عن الإدمان أو المصاحبة له أو تلك المترتبة على إيقاف مادة الإدمان، إضافة إلى ضرورة عزل المريض عن محيطه الذي قد يكون مصدراً للضراعات مع ترافق هذه العلاجات مع علاج نفسي فردي وأسري (للمدمن وعائلته).

وقد أثبتت التجارب أن غالبية الناجين من الإدمان ونسبتهم العاملة ضئيلة يرتكزون في شفائهم على العودة إلى القيم الدينية وتعاليمها والتوبة عن السلوك المنحرف، حتى يمكن القول بأن تجربتنا في علاج مدمن الكحول كانت تجربة أعطت أفضل النتائج العلاجية حتى أن قسماً من هؤلاء المدمنين كرس توبته بفرضية الحج وتمكن من إلغاء الذكريات المتعلقة بالإدمان.

* نائب رئيس الجمعية الإسلامية العالمية للصحة النفسية - لبنان. ■

والمخدرات وتأثيرها الضار بالفرد والجماعة ليعطينا إجابة سريعة مجملية عن حكم تعاطيها في نظر الإسلام: إذ إن تعليم الإسلام وأحكامه جاءت تطهيراً للفرد والجماعة من صنوف الرذائل وألوان المنكرات وتوجيهاً للفرد والجماعة إلى ما يصلح شئونهم في الحال والمآل.

قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (سورة الأنفال، الآية ٢٤). وانطلاقاً من ذلك ومما سبق بيانه عن مدى إحاطة الإسلام العقل بسياج من الحفظ والرعاية يكون حكم تعاطي المخدرات هو التحريم.

والواقع أن خطورة تعاطي المسومات وصعوبة علاج هذا التعاطي بالإضافة لانعكاساته الاجتماعية كلها عوامل تؤكد على الدور الوقائي الذي يحول دون حدوث المشكلة أساساً، وكما أسلفنا فإن النصائح والتعاليم التي أتت بها الدين الحنيف إنما تشكل برنامجاً متكاملًا لهذه الوقاية.

هذا ويلجأ العديد من الأطباء الأوروبيون إلى الاعتماد على دعوة الإسلام للامتناع عن تناول المسومات والخمر خصوصاً، أما علاج هذه الحالة (التعاطي) فيتركز على مبدأ الفطام ثم